ISSN = 2073-6614 pp: 153-171 | مجلة جامعة الانبار للغات والآداب

Foregrounding and Deferment in the Omar's Alnas Poetry: Stylistic Reading

التقديم والتأخير في شعر عمر النص قراءة أسلوبية

Talal Mohsen Madloul
tal20a1006@uoanbar.edu.iq
College of Arts, University of Anbar
Prof.Dr. Jasim Mohammed Abbas
im88@uoanbar.edu.iq
College of Arts, University of Anbar

طلال محسن مدلول
جامعة الانبار – كلية الآداب
tal20a1006@uoanbar.edu.iq

أ. د. جاسم محمد عباس
جامعة الانبار – كلية الآداب
jasim88@uoanbar.edu.iq

Received: 17-07-2022 Accepted:21-09-2022 Published: 30-12-2022

Doi: 10.37654/aujll.2022.177791

Abstract:

This study aims to identify the method of foregrounding and deferment, and its forms, manifestations, and various images in the poems of Omar Muhammad Sharif the Nass. The study depends on the applied analytical aspect of his poems, as these poems were expressive of themselves, as they spoke of their contents and meanings.

The approach of this study is based on evoking the appropriate poems and studying the types of foregrounding and deferment in them, as the form of foregrounding and deferment used may be different from one poem to another, as well as the method of foregrounding and deferment taking over most of his poems.

Key words: Omer Al-Nass, Foregrounding , Deferment, installation.

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أسلوب التقديم والتأخير, وأشكاله, وتجلياته, وصوره المختلفة في قصائد عمر محمد شريف النص, إذ اعتمدت دراستنا على الجانب التطبيقي التحليلي لقصائده, إذ كانت هذه القصائد معبرة عن ذاتها, كما كانت ناطقة بمضامينها, ومعانيها.

ويقوم منهجنا في البحث على استحضار القصائد المناسبة ودراسة انواع التقديم والتأخير فيها, إذ إن شكل التقديم والتأخير المستخدم قد يكون مختلفا من قصيدة لأخرى, فضلا عن استحواذ أسلوب التقديم والتأخير على أغلب قصائده.

الكلمات المفتاحية: عمر – النص – التقديم– التأخير– التركيب

Introduction

Presentation and delay is one of the grammatical advantages, as it disrupts the structures of the linguistic sentence, causing a structural disorder in the order of the sentence, which gives it an aesthetic and good taste that makes the recipient feel that artistic and aesthetic value caused by this stylistic feature.

مدخل:

التقديم والتأخير هو أحد المزايا النحوية, إذ يخلخل تراكيب الجملة اللغوية فتحدث خلخلة تركيبية في ترتيب الجملة, مما يضفي عليها ذوقاً جمالياً وحسناً يجعل المتلقي يستشعر تلك القيمة الفنية والجمالية التي يحدثها هذا الملمح الأسلوبي.

التقديم والتأخير لغة:

التقديم لغة: جاء في لسان العرب لإبن منظور(ت 711)هـ، "يقال: القدم و القدمة: السابقة في الأمر، وتقدم كقدم، و قدم كإستقدم، تقدم و روى عن أحمد بن يحي: قدم صدق عند ربهم، فالقدم كل

ما قدمت من خير"[1] كما جاء في أساس البلاغة لـ(الزمخشري) (ت538)هـ قوله: "يقال تقدمه، و تقدم عليه و إستقدم وقدمته و أقدمته، فقدم بمعنى تقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة و الإقدام في الحرب"[2] وجاء في معجم الوسيط: "قَدَمَ: فلانٌ قدمًا، تَقَدُمًا و قَدَمًا: شَجُعَ فهو قدوم و مقدامٌ و القوم قدمًا و قدومًا، سبقهم فصار قُدَامَهم و في التنزيل العزيز قال تعالى:

" يَقْدَمُ قَوْمَهُ يوم القيامة... "[3]، فظاهر الكلام من تعريفهم للتقديم هو السابق أو الأول أو من تقدم.

التأخير لغة: جاء في معجم الوسيط " أخر: تأخر و الشيء جعله بعد موضعه و الميعاد أجله تأخر عنه جاء بعده، و تقهقر عنه و لم يصل إليه"[4] وورد في أساس البلاغة لـ (الزمخشري)(ت538)هـ قوله: " و يقال أخر: جاءوا عن آخرهم، والنهار يخر عن آخر فآخر، والناس يرذلون عن آخر فآخر، والسترة مثل آخره الرحل و مضى قدمًا و تأخر، أخر و جاء في أخريات الناس و جئت أخيراً و بأخرة [5]"

ويتبين من تعريفهم في المعجمين أن مفردة أخر تدل على ما كان في المرتبة الأخيرة أو ما كان موقعه مؤخراً.

والتقديم والتأخير هو من الأبواب التي طرقها كل من البلاغيين واللغويين والنقاد قديماً, كما أفرد البعض له باباً معضدين ذلك بالشواهد القرآنية والشعرية, مؤكدين بذلك الأثر البالغ لها من حيث إثراء الجمال والفن على النصوص الأدبية, وهي بذلك قد تجاوزت ما لها من وظيفة دلالية وهي التي عُني بها النحاة, فقد قيل عنه "هو بابٌ كثيرُ الفوائد, جم المحاسن, واسع التصرف, بعيد الغاية, لا يزال يفتر لك عن بديعة, ويفضي بك إلى لطيفة, ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه, ويلطف لديك موقعه, ثم تنظر فتجد أن راقك ولطف عندك, أن قدم فيه شيء, وحول اللفظ عن مكان الى مكان"[6]

[1] لسان العرب, ابن منظور : 47 .
[2] أساس البلاغة، الزمخشري : 667.
[3]: معجم الوسيط, إبراهيم مصطفى وآخرون :8.
[4] م . ن :8.
[5] أساس البلاغة, الزمخشري: 26 .
[6] دلائل الاعجاز, عبد القاهر الجرجاني:106.

تعريف التقديم والتأخير اصطلاحاً: أول من أشار الى هذه الظاهرة سيبويه في كتابه وذلك في (هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول) فيقول: " فإن قدمت المفعول و أخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى الأول وذلك في قولك: (ضرب زيداً عبدالله) لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدماً ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه و إن كان مؤخراً في اللفظ. فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدماً وهو عربي جديد كثير كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى و إن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم"[7], والواضح من القول أن سيبويه يرى التقديم والتأخير قد يصيب الجملة فيحدث تغيير في الترتيب الطبيعي لها, فيقدم ما حقه التأخير ويؤخر ما حقه أن يتقدم وبيان ذلك في الجملة التي أوردها مشيراً إلى أن ما تقدم كان بيانه مهماً من أن يتأخر ويتضح أن التقديم والتأخير يكون لغايات لا سبيل للحياد عنها.

أما عبدالقاهر الجرجاني فواضح من قوله أن فوائد التقديم والتأخير كثيرة جمة تضفي على الكلام حسناً وجمالاً ورونقاً ولا تكون إلا لأسباب لغوية, تفرضها طبيعة المعاني التي بدورها تقوم بتحويل اللفظ من مكانه الأصلي إلى مكان آخر ولأسباب هامة.

وفي النقد الغربي فيسمى بـ (القلب) حسب مفهوم (كوهن) أو ما يعرف بـ (الإنزياح النحوي) عن القاعدة المألوفة في مساسها للكلمات, فدراستها من خلال أفضل أمثلتها وهو التقديم والتأخير[8], فالقاعدة الأصلية في الجملة الفعلية هو فعل وفاعل ومفعول, وإن كان هذا الكلام الذي يخالف تلك القاعدة الأصلية هو من الناحية النحوية ضعيف فإنه بهذه المخالفة أكثر إنزياحاً فالمبدع يعمد لمثل هذه الإنزياحات ليشد إنتباه القارئ وإزالة الملال عنه, فالإنزياحات مواطنها كثيرة منها التقديم والتأخير فـ "هما اللذان يخرقان عرف الجملة العربية ويشوش ترتيبها ويثير إنتباه المحلل"[9], فضلاً عن تكثيف المعنى وزيادة فاعلية النص الشعري.

وإن الشاعر أو الاديب لديه قدرة تظهر مدى براعته, وكذلك لديه قدرة على التملك لزمام المفردات, والخوض في محيط النص مما يضمن له الوصول الحسن إلى أعماق المتلقي, إذ تتحقق

[7] الكتاب، سيبويه, : 34.
[8] ينظر: بنية اللغة الشعرية, جان كوهين:180.
[9] الأسلوبية وتحليل الخطاب, نور الدين السد:175.

المتعة والفائدة من غير أن لا يصدم بصخور المخالفات اللغوية, أو الدخول في أودية الغموض, مما يجعل المقصد مفسراً بما لم يقصده المبدع.

وكذلك " يمكن القول أن ظاهرة التقديم والتأخير, هي من أهم الظواهر التي يتجلى فيها إنزياح التركيب على وجه التحديد, إنها– بشكل عام– خرق لقانون رتبة الوحدات اللغوية؛ خرق ينتج علاقات جديدة, ويفتح أفاقاً واسعة أمام المبدع والمتلقي"[10] وهذه العلاقات ينتج عنها التأويل وتعدد القراءات من خلال المساحة التي أتيحت بسبب الخرق اللغوي فـ " لما كانت الألفاظ قوالب المعاني وكان بعضها أكثر دلالة على المعنى من بعض حسن تقديم ما حقه التأخير من ركني الجملة, لأن تقديمه يرمي إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال"[11]

ومن خلال القراءة المتأنية لديوان الشاعر عمر النص فأن ظاهرة التقديم والتأخير تشكل ظاهرة أسلوبية قد وظفها الشاعر ليثري دلالته ويعمقها, وإن الإنزياحات التركيبية تتمثل أبرز صورها بالتقديم والتأخير[12], فشاعرنا يأتي بهذه الظاهرة بإسلوب منزاح عن الأصل اللغوي المألوف, ليحقق متعة جمالية وفنية, وكذلك ليحقق أغراضاً دلالية هي الأساس لهذه الظاهرة, فهنالك مقاصد ودلالات هي الهدف المعنوي, وهي من ناحيتها تثري الرسالة اللغوية وفعاليتها, فالمتلقي من خلال هذا يتضاعف عنده الاحساس, وهذا ما يجعل الدلالة الموقعية للفظة الجديدة ذات إبداع يرقى بها إلى أبعد المستويات.

فالشاعر عمر النص مفرداته عالية, أحاسيسه رهينة بين الآلام والأحزان, رمته أمواج التجارب في حياته المؤلمة في فضاء الحزن, حتى إستقر على شواطئ التيه والضياع, فنراه في كل موضع في شعره ماثلاً يشتكي اللوعة التي نراها بين مد وجزر في قصائده لا تكاد أن تفارقه وكأنها أصبحت قضاءً وقدرًا له.

أبرز مظاهر أسلوب التقديم والتأخير في شعر عمر النص:

[10] عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية, مسعود بو دوخة:83.
[11] اللباب في قواعد اللغة وآلات الادب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل, محمد علي الشراج, :164.
[12] ينظر: الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية, احمد محمد ويس:122, وينظر: النقد والاسلوبية, بين التنظير والتطبيق, عدنان بن ذريل:28.

الأصل في الجملة الأسمية أن تكون من عنصرين أساسيين هما المسند إليه (المبتدأ) والمسند (الخبر) وهو أما يكون مفرداً أو جملة أو شبه جملة, فالمعروف أن هذه الجملة يكون فيها المسند إليه مقدماً على المسند, إلا أنه قد تحدث خلخلةً تركيبية في الترتيب الأصلي للجملة وهو ما يعرف بالإنزياح, فيتقدم الخبر على المبتدأ مما يجعل البنية التركيبية و الخلخلة التركيبية بعد هذا الإنزياح مكتسِباً دلالاتٍ عديدة مختلفة عما كانت عليه قبل هذا الإنزياح.

كما ورد تقدم الخبر على المبتدأ في شعر عمر النص في مواضع كثيرة منها عندما يكون الخبر شبه جملة, ومن ذلك قولهِ في (قصيدة دعي لي الذكريات):

وفي عيني أشـــــواق حـــيارى تبوح بلهفتي وتشي بوجدي

أحدق في الفضاء وخلف هدبي خيال مواثق ورفـــات وعدِ

دعي لي الذكريات لعل فيـــــها بقية رحمة وســـــراب ودِ[13]

تنهض البنية النصية لهذه الأبيات الشعرية عن طريق الانزياح المتحقق من خلال التقديم والتأخير, فتوظيف ظاهرة التقديم أحدثت خلخلة تركيبية خرقت الاصل المألوف في المعيار النحوي في كل بيت من النص "ويمثل التقديم والتأخير واحداً من أبرز مظاهر العدول التركيبي اللغوي ليحقق غرضاً نفسياً ودلالياً يقوم بوظيفة جمالية باعتباره ملمحاً أسلوبياً خاصاً, ويتم عن طريق كسر العلاقة المألوفة بين المسند والمسند إليه, وفي الجملة ليضعها في سياق جديد وعلاقة مميزة"[14] فالتقديم والتأخير قد كرر ثلاث مرات، وهو هنا يشكل لنا قيمة جمالية للإنزياح في النص من خلال خرق النظام النحوي المعتاد، إذ إن الأصل في البيت الأول هو (أشواق حيارى في عيني) إلا أنه عدل عن هذا الترتيب المألوف إلى خرق يشكل لنا إنزياحاً من خلال تقديم الخبر (في عيني) على المبتدأ (أشواق حيارى) وهو نكرة لا مسوغ للإبتداء به, إلا تقديم الخبر عليها, والسبب في التقديم " ليصبح الأمر متروكاً لمزيج من العوامل النفسية لدى المتكلم, يرغب في عرضها على المتلقي, كالرغبة في تمكين الخبر من ذهن السامع, أو تشويقه إلى الخبر, أو تعجيل مسرته بالمسند إليه بتقديم ذكره, أو

[13] الاعمال الشعرية الكاملة, عمر محمد شريف النص: 6.
[14] البنى الاسلوبية في النص الشعري دراسة تطبيقية, راشد بن هاشل الحسني:233.

إيهامه أنه لا يزول عن خاطره"[15] وقد أقحم نعت المبتدأ بـ (حيارى) وذلك لتقديم له دلالته وأغراضه المعنوية التي تعبر عن القوة في المعنى وتقرير هذا المعنى في نفوس المتلقين, وذلك لأن التعبير بهكذا معانٍ بالجملة الاسمية يظهر مدى الحيرة في أشواق الشاعر التي فضحتها الدموع حين تبوح بلهفته للحبيبة.

وفي البيت الثاني جاء تقديم المسند وهو (خلف هدبي) على المسند إليه وهو (خيال مواثق), فكل تقديم يعني " نقل وتحريك, وكل تأخير نقل وتحريك في إتجاه معاكس"[16] وتقدم ظرف المكان يبين لنا أن الوعود التي لم يبقَ منها سوى الرفاة أنها مع ناظريه لا تفارقه, فهو حين ينظر إلى الفضاء يتأمل تلك المواثيق والوعود, وجاء تقدم الخبر ليبين للمتلقي أن تلك المواثيق والوعود لا تزال خلف أهدابه يراها كلما تأمل في السماء.

أما موضع التقديم والتأخير في البيت الثالث فقد تقدم خبر لعل وهو (فيها) وتأخر اسم لعل وهو (بقية) وهذا التقديم له دلالات كبيرة, ويدل على أسلوب الشاعر عمر النص بأن يقدم الاشياء المهمة, بغض النظر عما كان التقديم واجباً أو جوازاً, فشبه الجملة (فيها) يبين لنا مدى الانسجام العاطفي, فإستخدام حرف الجر هنا له خصوصية للشاعر في تجسيد مشاعره وسعادته نحو تلك الذكريات, وهي أن تترك له الذكريات عسى أن يكون في هذه الذكريات بصيص أملٍ يعيشه حتى وإن كان خيالاً لا حقيقة, كما يظهر التقديم في هذا البيت الحال التي وصل إليها الشاعر من الفقد والحرمان حتى دعته هذه الحال بأن يتوسل حبيبته أن تترك له أقل ما كان وهي الذكريات.

و يعد أسلوب التقديم والتأخير من الأساليب التي تبين لنا مدى الموهبة الحقيقية للشاعر ومدى ما تأثر فيه من مواقف الحياة من حزن وفرح وهذا التعبير عن سياق الحال هو حقيقي لذا يظهر لنا تجربة الشاعر الحقيقية.

[15] نظرية اللغة في النقد العربي, عبدالحكيم راضي:215.
[16] بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم, علي ابو القاسم عون:42.

كذلك الأصل في الجار والمجرور أن يأتي متأخراً, لكنه يتميز بالمرونة فهذه هي " طبيعة الجار والمجرور نفسها التي تتمتع بالمرونة وسهولة التحريك أفقيا"[17] ومن هذه النماذج في شعر عمر النص قوله من قصيدة(غفران):

وأداري لهيبها خلف أضلا عي وأخفي عن العيون هواني

وإذا ما ذكرت أجمل ماض قدرته على النجوم يـــــــدان[18]

عند ملامسة المرتكزات الرئيسة في النص نرى أن الشاعر قد أحدث إجراءً أسلوبياً من خلال الإنزياح والخروج عن المعتاد الذي آلفه المتلقي إذ يقوم النص على إحداث خلخلة تركيبية في السياق للبنى التركيبية, وذلك من خلال خرق رتب الجمل الفعلية عن المألوف, من أجل كسر الرتابة والملل الذي قد يصيب القارئ فهو " خرق للنظام الثابت, وانزياح عن المعتاد, وبعث الهمة في ذهن المتلقي, وتيقظه لطبيعة التراكيب التي خالفت السائد في الذهن"[19] لذلك نجد الشاعر قد عمد إلى الإنزياح لينتقل إلى نسق مغاير وهو تقديمه الجار والمجرور (عن العيون) على المفعول به (هواني), والأصل (وأخفي هواني عن العيون), إذن فالتقديم للجار والمجرور في هذا الموضع قد سلط به الشاعر الضوء على نفسه من خلال إخفاءه للهيب وطريقة مداراة أوجاع هذا اللهيب وتحمله كي لا يظهر للعيون, وفي سبيل ألا يلاحظ عليه أحد هوانه وضعفه, ومن خلال ذلك يتبين لنا أن شاعرنا مبدع في رصف المفردات و " أن طريقة رصف المفردات داخل الجملة تخضع لعوامل عدة: نحوية وصرفية ودلالية وصوتية, والتركيز على أحد هذه العوامل يؤثر في عملية النسيج اللغوي تأثيراً مباشراً, تتحرك على إثْره المفردات في حركة أفقية من أماكنها المرصودة لها, إلى أماكن أخرى ذات طبيعة تأثيرية متميزة, أي أن تحريك المفردات أفقيا إلى الأمام أو إلى الخلف له علاقة قوية بغائية الإبداع الفني"[20], وهذا الأمر هو الذي يدفع المتلقي إلى أن يلجأ لمثل هذه الإنزياحات حتى يحقق أعلى قيمة فنية.

[17] لغة الخطاب الشعري عند جميل بثينة دراسة أسلوبية بنائية, فاضل احمد القعود:133.
[18] الاعمال الشعرية الكاملة:14.
[19] الشعرية: قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي, د. أحمد جاسم الحسين:161.
[20] البلاغة والاسلوبية عند السكاكي, د. محمد صلاح زكي:183.

أما البيت الثاني يظهر لنا تميز شاعرنا بمخزونه اللفظي وكفايته اللغوية التي جعلته مميزاً عمن سواه من الشعراء فـ " لما كانت قدرة المتكلم على إنتقاء مفرداته مرهونة بكفايته اللغوية, ومخزونه اللفظي, فإن قدرته على الإبداع–في هذا الجانب– تظل محدودة بحدود ما يمتلكه من مادة لغوية وما يتميز به من قدرة على الإختيار, والتمييز بين البدائل اللغوية التي تتعايش معاً في ذاكرته"[21] وهذا المخزون اللفظي لدى الشاعر عمر النص جعله يأتي بالبدائل المميزة التي شدت إنتباه المتلقي, فقد تقدم الجار والمجرور(على النجوم) على الفاعل (يدان), كما أن هذا المنبه الأسلوبي قد أضفى تدفقاً شعورياً أحدث خلخلة تركيبية طالت هذا النص, والتقديم والتأخير يعطي سمة التفاعل داخل النص فهو يبعث الغموض مما يؤدي لتكثيف الصور الشعرية وجعل القارئ يبحث عن الكلمة المنزاحة عن أصلها, فالشاعر أعطى لفكرته مساحة واسعة لتحريك الدلالات في النص من خلال هذا المنبه الأسلوبي.

وبذلك فإن للتقديم والتأخير لمسات جمالية مؤثرة في النفوس فهي ترسم معاني إيحائية في هذا النص الشعري بفضل هذا النوع من الإنزياح في قوله من قصيدة(حرمان):

على مقلتي يلوح العـــياء وتحني على كتفي الصعاب

وأخرست في شفتي اللحون وأطبقت كفي فوق الربــاب[22]

في النص مفارقة أسلوبية قامت من خلال إحداث خلخلة تركيبية خرقت المعتاد في النسق اللغوي أو المعيار ففي البيت الأول تقدم الجار والمجرور(على مقلتي) على الفاعل (العياء) في صدر البيت, وفي عجزه كذلك تقدم الجار والمجرور(على كتفي) على الفاعل (الصعاب), كما هو الأمر في البيت الثاني إذ تقدم الجار والمجرور(في شفتي) على الفاعل(اللحون) فالتركيب اللغوي هنا إنزاح عن أصله النحوي, كما أن تكرار هذا التقديم في نفس البيت والبيت الذي يليه قد أعطى للأبيات أسلوباً خاصاً عكس التوتر الحاصل, الذي منح النص ثوباً لغوياً منطوياً على الغاية الاسلوبية والتي أثرت المعنى وفتحت دلالات واسعة لتحقق الشعرية في النص, مما شكل بنية فاعلة

[21] م. ن :182.
[22] الاعمال الشعرية الكاملة:18.

قادرة على إدهاش المتلقي, إذن فهذا الخرق التركيبي الذي طال مفاصل النص الشعري حقق إجراءً أسلوبياً في بنية النص وهذا الاجراء عمل على إيضاح السمة الادبية وأثرى النص بالقيمة الجمالية, فالشاعر استثمر هذا النوع من الاساليب, وذلك لأن لغته الشعرية لغة إنزياحية إذ نجده قد خرق المعتاد واستعمل اللغة استعمالاً خارج عن المألوف و"الخروج باللغة من طابعها النفعي إلى طابعها الابداعي"[23] يحقق في النص السمة الانزياحية.

ومن مواضع تقديم الخبر على المبتدأ في شعر عمر النص قوله من قصيدة (بقايا سراب):

يا نفس ما العيش ؟ وهل للبقاء حقيقة واحدة خالده[24]

إن هذا الأسلوب التركيبي الذي شكل لغة الشاعر عمر النص من حيث قدرته على التغيير في النسق التركيبي من تمويه الدلالة مجسداً التجربة والغور في التعبير عن مواقفه المحزنة " فبهذا التغيير في ترتيب عناصر الجملة اعطى الشاعر دلالة خاصة"[25] فتقدم الخبر (للبقاء) على المبتدأ وهو (حقيقة واحدة) يوضح صورة تمثلت في الأمل, فمفردة البقاء تشير الى أمل الشاعر, وهذا يأتي بعد سؤال النفس الذي يوضح لنا الحوار الذي حدث بين الشاعر ونفسه بعد النداء الذي وجهه الشاعر لذاته, ثم يباشر بعد النداء بالسؤال, وبدأه بتقديم الخبر للبقاء على المبتدأ, وجاء التأخير لقلة إهتمامه إذ كان الأهم ما أشغل بال الشاعر وأحاسيسه وهو البقاء.

كذلك من مواضع تقديم الخبر على المبتدأ في قوله من قصيدة (بقايا سراب) :

اسطورة نحن فوا لهفـتاه لم تبق منا غير أشباحنا

من حلم نبني! فيا ليــتنا لم نعرف الحلم ولم نبنه

في يقضة الفجر نذيرٌ لنا يمزق الــروح بسكينـه...[26]

---

[23] جدلية الافراد والتركيب في النقد العربي القديم, محمد عبدالمطلب:143.

[24] الاعمال الشعرية الكاملة: 14.

[25] الانزياح في شعر سميح القاسم, قصيدة عجائب قانا الجديدة إنموذجا, وهيبة فوغالي, رسالة ماجستير:101.

[26] الاعمال الشعرية الكاملة:16-17.

تظهر أحاسيس الشاعر منعكسة من خلال الخلخلة التركيبية في النسق اللغوي للنص, فهذه الأحاسيس ناتجة عن الانفعال الحاصل لدى الشاعر إذ نراه محاولاً للتنفيس عنها بهذه الوسائل التعبيرية المنزاحة من خلال تقدم الخبر على المبتدأ, إذ أخر الشاعر الخبر وهو (أسطورة) على المبتدأ (نحن) فالعناية بما تقدم في البيت الأول أمر واضح قصده الشاعر, وذلك إشارة منه لأسماع المتلقي "وتكمن شعرية التقديم والتأخير في تحولات الدلالة التي تتولد بالصوغ الابداعي الذي أنتجها, في حين يبقي حيز المعنى ثابتاً, وبالتالي فهي تهتم بالصياغة والمبدع والمتلقي, فمن حيث الصياغة تبرز الشعرية فنيات تشكيلية يحدثها اهتزاز العلاقات التركيبية, وتدخل في اختيارات المتكلم المنبثقة عن تذوقه الفردي وإلتذاذه بسياقات تركيبية دون أخرى وهو الموقف الذي لا يحيد عنه المتلقي لتعلقه بالغامض وتشوقه اليه"[27] إذ إن المتلقي هنا هو نفس الشاعر والدليل في البيت السابق حيث يقول:

يا نفس لا يغرُرْكِ كنْهُ الحياة ما هي إلا نسج أحلامنا[28]

فهو نداء صريح للنفس التي يوصيها بأن لا تغرها ما في الواقع فإنها كلها أوهام قد نسجتها مخيلتنا من أحلام, ثم يُتبع البيت بتقديم الخبر وهو أسطورة ليبين للنفس أنه وهي في مقام عالٍ, ويُتبع ذلك بعدها بالحسرة على ما آل إليه الحال حيث لم يبقَ سوى أشباحهم وهو شيء خيالي لا يرى بالعين المجردة, فتقديم الخبر أسطورة كان أهم من أن يتأخر وذلك ليذكر النفس بعد أن خاطبها في البيت السابق بالمكانة التي هم عليها, وفي البيت الثاني أيضا تقديم المتعلق الجار والمجرور(من حلم) على المتعلَق (نبني) إذ شكل هذا الاجراء الأسلوبي منبهاً أسلوبياً شد به أذهان المتلقين على أهمية ذلك الحلم, وفي البيت الثالث تقدم الخبر(في يقظة الفجر) على المبتدأ (نذيرٌ لنا) إذ عمل هذا التكثيف الأسلوبي من التقديم والتأخير على بناء نسق من الإنزياحات التي تحقق عبرها تشكيل الدلالة الباطنة للنص.

ومثله في قوله من قصيدة (بقايا سراب) :

يا شارد العينين لا تنظر فليس في أفقك من بارقه[29]

[27] ينظر: شعرية الانزياح, دراسة في جماليات العدول, خيرة حمر العين:41.
[28] الاعمال الشعرية الكاملة:16.

إن ظاهرة الإنزياح في البيت والمتمثلة في التقديم والتأخير تجسد حالة شعورية تولدت من إحساس الشاعر بالحرمان والفقدان, فإن ما يقوم به هذا الخرق التركيبي من العدول عن المألوف عمل على نقل المتلقي من فضاء الجمود إلى عالم التجدد والتأويل, تاركاً للمتلقي مساحات إبداعية وأفاق توقع تجعله مبدعاً مشاركاً في العملية الابداعية, "وهذا الاجراء يعطي التراكيب المألوفة والغير مألوفة تميزاً, إذ يساعد المتلقي على الشعور بنشوة الاكتشاف وايصال المدلول بطريقة مختلفة؛ وذلك لأن هذا الشكل من الانزياح له دوره في شعرية التركيب والخطاب الشعري"[30] فالشاعر قدم خبر ليس على أسمها, وتقدير الكلام هو(فليس من بارقه في أفقك) فالقيمة الجمالية لتقديم خبر ليس هو الإصرار من الشاعر على أن جميع ما حدث له هي السبب فيه, وهذا لوم صريح من الشاعر يلقيه في أعتاب طريق الحبيبة, فقد رأينا هذا اللوم المتكرر من الشاعر وفي كل لائمة منه نراه يقدم ذات الحبيبة وما يخصها من تراكيب الجملة, وذلك لينبه المتلقيين ومنهم حبيبته إلى شيء هو قاصده لا محالة, وهو أن الحبيبة هي السبب في كل ذلك الحرمان, وفي البيت إشارة إلى ذلك حيث وصف الحبيبة بشرود الرؤية, وهو ينهاها عن تلك الرؤية لأنها لا تميز بين الموجودات في الأفق.

ومن تلاوين التقديم والتأخير في شعر عمر النص هو تقديم المفعول به على الفاعل فإن " تحويل هذه الأطراف من أماكنها الأصلية التي إكتسبتها من نظام اللغة, الى أماكن جديدة ليست لها في الاصل"[31] وتأتي هذه الظاهرة غالباً لإغراض منها " للتفضيل والتوضيح وإزالة الإبهام"[32] فهو أما أن المفعول به المقدم أسمى رتبة أو لتوضيح لبس حاصل في التركيب لإزالة الوهم عن أذهان المتلقين و" إن تقديم المفعول به يكون على ضربين: أحدهما تقديم المفعول على الفعل الناصبة تقديم يقبله القياس, ويمثل له بقولهم زيداً يضرب عمر–وهذا الضرب لا يوجد في القصيدة في الغالب الأعم– والضرب الثاني تقديم المفعول به على الفاعل فهذا موجود"[33] و منه قول عمر النص من قصيدة (أخاف أن أنسى) :

---

[29] الاعمال الشعرية الكاملة, ص15.
[30] ينظر: الشعرية, احمد جاسم الحسين:162.
[31] البلاغة والاسلوبية عند السكاكي:333.
[32] الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية, د.فتح الله أحمد سليمان:208.
[33] الخصائص, ابن جني:158.

أخاف أخاف من عيش تؤود النفس اعباؤه[34]

إن التراكم في الخرق الإسنادي للبنى التركيبية من خلال الحدث المكثف بإبراز المخصوص الذي قدمه الشاعر وهو المفعول به (النفس) على الفاعل (اعباؤه) وهذا تنبيه صريح للمتلقي على أن النفس هي التي ستحمل أعباء ذلك العيش المرير, فالتقديم والتأخير من التراكيب الشعرية التي تخل بنظام الكلام النثري "وهما يلعبان دوراً في ادخال القراء إلى متاهة تتسع وتضيق من قصيدة إلى أخرى, ومن شاعر إلى آخر, ولكنها متوفرة في مجمل نصوص المتن, لا يتورع عن استعمالها أي شاعر من الشعراء"[35]

وبيان ذلك أن الشاعر أراد إيصال ما هو أكثر أهمية في داخله للمتلقي, كما أن تكرار الفعل (أخاف) أضفى قيمة جمالية في أذن المتلقي الذي وقع تركيزه على النفس وهي المفعول الذي وقع عليه فعل الفاعل (أعباء العيش), و نرى أن الشاعر وكأنه أصبح ساحة حرب من الأسئلة التي تطرحها النفس على ذات الشاعر وخوف النفس من تحمل ما سيلقيه ذلك العيش المرير عليها.

ومن مظاهر التقديم والتأخير لدى الشاعر عمر النص تقديم الظرف على خبر (لكن) كما في قوله من قصيدة (بقايا سراب) :

دنوت لو تنقع لي غلتي لكنها اليوم بقايا سراب[36]

الأنا واضحة من ذلك الإجراء التركيبي الذي أدى دوراً في التصعيد من درجة التوتر التي كشفت عن البعد للتجربة الشعورية لشاعرنا وما يراد من هذا الاجراء هو تكثيف الدلالة ومنح النص بعداً فاعلاً وحيوياً, وذلك من تقديم الظرف (اليوم) على خبر لكن وهو (سراب) وتقدم ظرف الزمان يبين أنها اليوم هي بقايا سراب فكيف لنا أن نتخيل تلك البقايا والسراب بعينه لا يمكن أن نلمسه أو نتخيله, ففي هذا الموضع صورة جميلة تبين حال الشاعر وما وصل إليه من الحرمان والأسى ففي قوله تعالى في وصف السرابُ آ بر □ □ □ ً "[37] وهذا دليل على أن السراب غير ملموس فكيف

[34] الاعمال الشعرية الكاملة:21.
[35] ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقاربة بنيوية تكوينية, محمد بنيس:197.
[36] الاعمال الشعرية الكاملة:15.
[37] . سورة النور, الآيةُ 39.

ببقاياه, فالتقديم هنا هو سلسلة من الحرمان عاشها الشاعر حتى وصل لأخر عقدة في السلسة, وتقديم ظرف الزمان بيان من الشاعر أن ما قبل هذا الزمن كانت الحال أفضل.

ومن أمثلة التقديم والتأخير في شعر عمر النص هو تقديم جواب الشرط فـ " إن وقع اسم بعد أداة من أدوات الشرط, فهناك فعل مقدر"[38] ومنه في قوله من قصيدة(هباء) :

وفي وسْوسات الماء يختلطُ الصدى فيــنبعثُ الشجو العميق ويدفقُ

يكاد إذا أصغيـــتُ يزفِرُ بالأَســـى فأشفقُ منه فوق ما كنتُ أشفقُ[39]

أخافُ إذا سالمتُكِ الجبنَ والرّضـــا يَقَرّانِ في النفّسِ الصَّبورِ فتخنَعُ

تجسدت الفاعلية الشعرية من خلال نسق الشرط في هذين البيتين بأداة الشرط (إذا) إذ كانت بمثابة المركز الفاعل في دلالة إنبثاق الشعرية, فهذا المنبه الاسلوبي قد رصد الإنزياح في التراكيب المؤسسة لهذين البيتين وهو تقديم الفعل (يكاد) فقد منح النص بعداً فاعلاً حين جعله جواباً للشرط متقدم, فأصل الجملة هي (إذا أختلط الصدى بوسوسات الماء إنبعث الشجو العميق يزفر بالأسى) إذن الفعل يكاد هو من أفعال المقاربة و أن الشاعر قد أعطاه عمقا دلالياً, فلولاه لإنفجر بسبب ما يصغي إليه من وسوسات فهو يمثل صمام الأمان للشاعر, فينبعث الحزن العميق بالتدفق عند إختلاطه بوسوسة الماء, وهذا التدفق بدوره يكون قريباً من الزفرة التي وصفها بالحزن وهي حبيسة في صدر الشاعر وقلبه, فتدفق الشجو هنا كان شبيها بتدفق الماء, والناظر لهذا النص يلمح تركيبا صورياً فاعلاً قائماً على المجاز الذي كثف الحدث ومنح البعد الدلالي عمقاً وفاعليةً.

وفي البيت الأخير من النص تقدم فعل الشرط (أخاف) وهو الرضوخ الحاصل لا محالة إن حصلت المسالمة, وتقدير الكلام هو (لا أريد المسالمة لأنها ستكون رضوخاً للواقع وهو الجبن) فالخوف من المسالمة بالجبن والرضا هو الشرط بوقوع الخنوع في النفس الصابرة, وإقرار من الشاعر بذلك الخنوع إذا ما سالمها الجبن والرضا, فتقديم فعل الشرط "يكشف فيه إلحاح الشاعر على جملة

[38] جامع الدروس العربية, مصطفى الغلاييني:119.
[39] الاعمال الشعرية الكاملة: 44 .

او تركيب أو كلمة في سياق النص عن خصوصية الحالة التي سكن إليها نفس الشاعر"[40] إذ كان له أثراً جمالياً فالخوف في نفس الشاعر يظهر أنه رغم حبه واشتياقه لكنه يأبى لنفسه الذل والخنوع.

إذ إن تراكم هذه السمة التي حققها الشاعر من خلال أداة الشرط (إذا) إستطاع من خلالها أن يحمل الأبيات دلالة عبرت عن رؤيته المتمثلة بإحساسه المرهف وتعميق بنية النص الدرامية مما أثاره من وهج أسلوبي بين ثنايا السمات التراكمية التي عمقت البنية والقيمة الجمالية.

ومثله أيضاً قوله من قصيدته(الرسالة الزرقاء):

وكنُتِ تُعلّلينَ بها عيوني إذا نأَتِ الدّيارُ فَهل ذكرتِ؟[41]

قد ذكر الشاعر بما مضى من الأحداث بتقديمه لفعل الشرط (كنت) وكأنه ينذر بأن ما مضى سيتكرر, والدليل على ذلك هو قوله في السؤال (فهل ذكرت) الشاعر في هذا البيت في موضع العتاب وهو يذكر الحبيبة بما كانت لعيونه منها, فلتقدم فعل الشرط الذي خصص للحبيبة لوم يقع عليها وهو سبب ما حصل له, وهذا الحاصل هي سببه.

الخاتمة ونتاج البحث:

-ظهر في شعر عمر النص الدقة في توزيع التراكيب ، وانسجام الشكل مع المضمون التعبيري لتلك التراكيب؛ لظهور أساليب فنية تركيبية مجسدة بالجملة الخبرية والإنشائية وما يقع تحت هذه الجمل من تراكيب فكان التقديم والتأخير واحداً من أبرز تلك الأساليب التي شكلت مفهوماً محدداً.

- درس البحث ظواهر تركيبة مهمة في التقديم والتأخير، فكانت الخلخلة التركيبية وتحولات الرتبة بؤرة لخرق القواعد اللغوية والخروج بصيغة جديدة تنم عن نضج الإبداع لدى الشعراء وسعة تجربتهم ، كما يحمل في طياته سمات أسلوبية متفردة في النص .

-شكل التقديم والتأخير بتلاوينه المتعددة صورة مهمة اعتمدها الشاعر في تجسيد عواطفه وأحاسيسه التي غلفها بلون فني متعدد الاتجاهات والرؤى.

[40] لغة الشعر العراقي المعاصر:182.
[41] الاعمال الشعرية الكاملة:86.

قائمة المصادر:

1-القرآن الكريم.

2-أساس البلاغة، ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري, المكتبة العصرية، بيروت، 2005 م.
3- الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية, د.فتح الله أحمد سليمان, مكتبة الآداب, القاهرة, طبعة مزيدة ومنقحة,1425هـ-2004م.

4-الاسلوبية وتحليل الخطاب, د. نور الدين السد, دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع, ج1, عمان الاردن,2007م,.
5-الاعمال الشعرية الكاملة, عمر محمد شريف النص, منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب, وزارة الثقافة, دمشق, 2018م.
6-الانزياح في شعر سميح القاسم, قصيدة عجائب قانا الجديدة إنموذجا, وهيبة فوغالي, رسالة ماجستير, كلية الادب واللغات , جامعة البويرة, اشراف محمد الهادي بوطارن, 2012.
7-الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية, احمد محمد ويس, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, ط1, بيروت, لبنان 2005.
8-بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم, علي ابو القاسم عون, ج1, ط1, بيروت, لبنان, 2006م.
9-البلاغة والاسلوبية عند السكاكي, د. محمد صلاح زكي, جامعة الازهر بغزة, 2007, اطروحة دكتوراه, المجلد1, جامع الكتب الاسلامية.
10-البنى الاسلوبية في النص الشعري, دراسة تطبيقية, راشد بن هاشل الحسني, دار الحكمة, ط1, لندن 2004م.
11-بنية اللغة الشعرية, جان كوهين, ترجمة: محمد الولي, محمد العمري, دار توبقال للنشر, دار البيضاء, المغرب, ط2, 2014م.
12-جامع الدروس العربية, مصطفى الغلاييني, نقحه الدكتور عبدالمنعم خفاجة, منشورات المكتبة العصرية, طبعة الجزء الثاني, بيروت, 1912,.
13-جدلية الافراد والتركيب في النقد العربي القديم, محمد عبدالمطلب, مكتبة الحرية الحديثة, 1984م.
14-الخصائص, ابي الفتح عثمان بن جني, تحقيق د. عبدالحميد هنداوي, دار الكتب العلمية,ج1, بيروت, 1971م.

15–دلائل الاعجاز في علم المعاني, عبدالقاهر الجرجاني, تحقيق: محمود محمد شاكر, مطبعة المدني, ط3, جدة, 1992.

16– شعرية الانزياح, دراسة في جماليات العدول, خيرة حمر العين, ط1, اربد, مؤسسة حمادة, 2001م.

17–الشعرية, قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي, د. أحمد جاسم الحسين, الاوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية, دمشق , ط1, 2001م.

18–ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقاربة بنيوية تكوينية, محمد بنيس, دار توبقال للنشر, الدار البيضاء, المغرب, ط3 , 2014م.

19–عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية, مسعود بو دوخة, عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع, عمان, الاردن, ط1, 2011.

20–الكتاب، سيبويه, تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988 م.

21–اللباب في قواعد اللغة وآلات الادب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل, محمد علي الشراج, دمشق, ط1, 1982م.

22–لسان العرب, الامام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور, دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2000 م.

23–لغة الخطاب الشعري عند جميل بثينة دراسة اسلوبية بنائية, فاضل احمد القعود.

24–لغة الشعر العراقي المعاصر ، عمران خضير حميد الكبيسي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط1 ، 1982م

25–معجم الوسيط, إبراهيم مصطفى وآخرون, المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع, ، إسطنبول، ط2, 1972م.

26–نظرية اللغة في النقد العربي, عبدالحكيم راضي, دراسة في خصائص اللغة الادبية, المجلس الأعلى للثقافة, ط1, القاهرة 2003م.

27–النقد والاسلوبية, بين التنظير والتطبيق, عدنان بن ذريل, منشورات اتحاد الكتاب العرب, دمشق 1989م.

References

1- The Holy Quran.

2- Al-Zamakhshari, M. O. (2005). *The Basis of Rhetoric*. Al-Asriyyah Library. Beirut.

3- Suleiman, F. A. (2004). *Stylistics: a theoretical approach and an applied study*. Library of Arts. Cairo.

4- Al-Sad, N. (2007). *Stylistics and discourse analysis*. Homa Press for printing, publishing and distribution. Amman. Jordan.

5- Al-Nass, O. M. (2018). *Complete Poetical Works*. Publications of the Syrian General Book Authority. Ministry of Culture. Damascus.

6- Foghali, W. (2012). *Deviation In The Poetry of Samih Al-qasim, The Poem of the New Wonders of Qana as a Model*. University of Bouira, Algeria

7 - Wais, A. M. (2005). *Deviation from the Perspective of Stylistic Studies* (1st ed.). University Foundation for Studies, Publishing and Distribution. Beirut. Lebanon.

8- Aoun, A. (2006). *Rhetoric of Advancement and Delay in the Holy Quran* (1st ed.). Beirut. Lebanon.

9 - Zaki, M. S. (2007). *Rhetoric and stylistics for Al-Sakaki*. Al-Azhar University. Gaza.

10- Hasani, R. H. (2004). *Stylistic structures in the poetic text, an applied study* (1st ed.). Al-Hikma Press. London.

11- Cohen, J. (2014). *The Structure of Poetic Language* (2nd ed.). Toubkal Publishing Press. Al-Bayda Press. Morocco.

12- Al-Ghalayini, M. (1912). *The Collective of Arabic Studies* (2nd ed.). Al-Asriyah library for Publications. Beirut.

13- Abd al-Muttalib, M. (1984). *The dialectic of individuals and composition in ancient Arabic criticism*. Modern Freedom Library, Iraq.

14- Jinni, O. (1971). *Properties*. Al-Kotob Al-Alami Press. Beirut.

15 - Al-Jurjani, A. (1992). *Evidence of Miracles in the Science of Meanings* (3rd ed.). Al-Madani Press. Jeddah.

16- Al-Ain, Kh. H. (2001). *Deviation Lattice, Study in Jamal Al-Adoul* (1st ed.). Hamada Foundation. Irbid.

17- Al-Hussein, A. J. (2001). *Poetry, a reading of the experience of Ibn al-Mutazz Al-Abbasi* (1st ed).). Al-Awael for publishing, distribution and printing services. Damascus.

18- Bennis, M. (2014). *The phenomenon of contemporary poetry in Morocco: a structural and formative approach* (3rd ed.). Toubkal Publishing Press. Casablanca. Morocco.

19- Doukha, M. B. (2011). *Elements of the Aesthetic Function in Arabic Rhetoric* (1st ed.). The Modern World of Books for Publishing and Distribution. Amman. Jordan.

20- Sibawayh, A. Q. (1988). *The book* (3rd ed.). Al-Khanji Library. Cairo.

21 - Al-Sharaj, M. A. (1982). *Pulp in the Grammar of Language and the Instruments of Literature, Grammar, Morphology, Rhetoric, Prosody, Language and Proverbs* (1st ed.). Al-Fikr press. Damascus.

22- Ibn Manzoor, M. M. (2000). Al-Arab Speech (1st ed.). Al-Sader press for Printing and Publishing. Beirut.

23- Al-Qaoud, F. A. (2012). The *language of poetic discourse at Jamil Buthaina, a constructive stylistic study.* Al Manhal press. Jordan.

24 - Al-Kubaisi, I. Kh. (1982). *The Language of Contemporary Iraqi Poetry* (1st ed.). Publications Agency. Kuwait.

25 – Mustafa, I. (1972). *Mujam Al-Waseet* (2nd ed.). Islamic Library for Printing. Publishing and Distribution. Istanbul.

26 - Radi, A. (2003). *Language Theory in Arabic Criticism* (1st ed.). Supreme Council for Culture. Cairo.

27- Dhiril, A. (1989). *Criticism and Stylistics. Between Theorizing and Application*. Publications of the Arab Writers Union. Damascus.